

الفصل الثانى

خصائص الحياة القلبية

لقد ورد لفظ « القلب » فى القرآن الكريم (١٩ مرة) بصيغة المفرد ، ومرة واحدة بصيغة المثنى ، و(١١٢ مرة) بصيغة الجمع (١) ، كما ورد لفظ « الفؤاد » مرادفاً له (١٦ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٢) ، وكذلك التعبير عنه مجازاً بـ « الصدر » (٤٤ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٣) .

ولقد اتفقت الكثير من كتب التفسير على أن المقصود بـ « القلب » هو « العقل » (٤) خاصة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (٦) .

وإن استعراض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » والتأمل فيها ، توحى بأن القرآن الكريم استعملها فى مواضع لا يمكن أن نستعمل فيها كلمة « العقل » ، فلو كان « القلب » هو « العقل » لصح العكس ، وهذا ما يتنافى مع استعماله لكل من اللفظين (٧) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ . (٣) المرجع السابق : ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٤) فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٢ ص ٤٦

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٥ ص ٤٤٦٩

(٥) سورة ق : ٣٧ (٦) الحج : ٤٦

(٧) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة . دار العلم للملايين ،

وسمى « القلب » قلباً لتقلب وتغير ما فيه من المشاعر ، والأحاسيس الوجدانية ، من حال إلى حال من قبيل المجاز (١) ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢) . فالأنهار لا تجرى ، وإنما تجرى المياه التى فيها (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٥) .

وعن سالم عن عبد الله قال : أكثر ما كان النبى ﷺ يحلف : « لا ومُقَلَّبِ القلوب » (٦) .

ولقد ورد استعمال لفظ « القلب » فى القرآن الكريم فى ثلاثة أوجه رئيسية وهى :

(أ) إن القلب مكان الخبرات الانفعالية :

إن الخبرات الانفعالية تكون مصحوبة بحالة وجدانية ، إيجابية أو سلبية ، سارة أو غير سارة ، وإن هذه الخبرات تمثل منهج ، وأسلوب الإنسان فى توجيه سلوكه كما سبق .

وإن استعراض بعض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » نلمح

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٢) التحريم : ٨

(٣) الراغب الأصفهاني : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٤) النور : ٣٧

(٥) الأنعام : ١١ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب : مقلب القلوب ، ج ٨ ص ١٦٩

أنه هو مكان الخبرات الانفعالية الداخلية ، وبالذات الخبرات الانفعالية السائدة ، وهي ما تُعرف بالعواطف (١) ومن أمثلة ذلك :

١ - الحب :

قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقِكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا ، قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

٢ - الكره والاشمئزاز :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٢) آل عمران : ١٠٣ (٣) الأنفال : ٦٣ (٤) الحجرات : ٧

(٥) البقرة : ٩٣ (٦) الزمر : ٤٥

يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

٣ - الرحمة :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

٤ - الغلظة والقسوة :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطْأً غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوكَ مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ
أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ
بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

٥ - الشعور بالاطمئنان :

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا
النُّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٦) .

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٢) الحديد : ٢٧

(١) آل عمران : ١١٨

(٦) الرعد : ٢٨

(٥) الأنفال : ١٠

(٤) البقرة : ٧٤

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

٦ - الشعور بالاضطراب :

قال تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤) .

٧ - الشعور بالخشية :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْقَائِمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

(٣) النور : ٣٧

(٢) البقرة : ٢٦٠

(١) الفتح : ٤

(٦) الأنفال : ٢

(٥) الحج : ٣٥

(٤) التوبة : ٤٥

(٧) المؤمنون : ٦٠

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

٨ - الشعور بالخوف والرعب :

قال تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَمَا وَاهُمْ النَّارُ ، وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا ، سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجِفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِقَةُ * قُلُوبٌ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ... ﴾ (٤) .

٩ - الشعور بالألم والحزن :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لَاخْوَانُهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ،
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ
أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٦) .

١٠ - الشعور بالغل والحقد :

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

(٣) الأنفال : ١٢

(٢) آل عمران : ١٥١

(١) الحديد : ١٦

(٦) يونس : ٨٨

(٥) آل عمران : ١٥٦

(٤) النازعات : ٦ - ٨

وَيَسْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ ١١ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٣) .

١١ - التكبر والغطرسة :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٦) .

وإذا كانت هذه بعض الانفعالات ، أو الخبرات الانفعالية للإنسان ، فلا شك
أن جميعها في حكمها ، وأن مكانها القلب .

(ب) إن القلب هو المؤشر للوجدان الباطني :

إذا كان الإنسان يتمتع بالدوافع النفسية العطرية الموروثة كحب التدين ،

(٣) البقرة : ٤ ، ٢

(٢) الحشر : ١٠

(١) التوبة : ١٤ - ١٥

(٦) الفتح : ٢٦

(٥) النحل : ٢٢

(٤) غافر : ٣٥

والتملك ، والمخلود ، فإن مثل ذلك ما أسندته الآيات القرآنية السابقة إلى « القلب » كدوافع نفسية مكتسبة - كما سبق - فالقلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها (١) .

ولعل ورود كلمة « العقل » بالفعل دون المصدر يدل على أن ليس للعقل إلا ما هو مستجد على وجوده خارج الرحم .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (٢) .

فإن للعقل التفكير ، والتأمل المجرد ، كما أن للعين الرؤيا المجردة ، وأن للقلب الإدراك ، والأحاسيس ، والمشاعر الوجدانية الباطنية ، التي تشعره بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، فالإنسان ليس عقلاً فقط ، ولكنه عقل وقلب (٣) .

قال تعالى : ﴿ أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

ولذلك فإن الدوافع النفسية تمثل أمراً نفسياً يساعد العقل على الوصول باستنتاجاته المنطقية إلى مرحلة الانتخاب منها ، وقد يكون هذا المؤشر قوياً أو ضعيفاً حسب خبراته الانفعالية إيجاباً أو سلباً (٥) .

عن وابصة بن معبد الأسدي أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئت تسأل عن البر ، والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ،

(١) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٦٦

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٢

(٢) النحل : ٧٨

(٣) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٧٥ - ٢٧٩ ،

(٤) الحج : ٤٦

ص ٢٦٣

(٥) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٣٨

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وقال : « استفتت نفسك ، استفتت نفسك يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (١) .

عن نواس بن سمعان قال : أقيمتُ مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة ، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، قال : فسألته عن البر والإثم ، فقال رسول الله ﷺ : « البر حُسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢) .

وعن أبي الجوزاء السعدي قال : قلتُ للحسن بن علي : ما تحفظ من رسول الله ﷺ ؟ ، قال : سأله رجل عن مسألة ما أدري ما هي ، فقال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٣) .

ولذلك فإن الاستنتاجات العقلية التي تدور في خلد الإنسان والمخارجة عن مدلول النص القرآني الكريم والسنة الصحيحة ، والتي تؤدي به إلى الخروج من الملة ، لا يحاسب عليها إلا إذا أظهرها ، أو لقيت قبولاً في قلبه (٤) .

عن أبي هريرة قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ ، فسألوه : إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « وقد وجدتموه » ؟ قالوا : نعم . قال : « ذاك صريح الإيمان » (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : مَنْ خَلَقَ كذا ؟ مَنْ خَلَقَ كذا ؟ حتى يقول : مَنْ خَلَقَ ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ، ولينته » (٦) .

(١) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، ج ٢ ص ٢٤٥

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تفسير البر والإثم ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(٣) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، ج ٢ ص ٢٤٦

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٤ - ١٥٣

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٩ ، ج ١ ص ١١٩

(٦) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ج ١ ص ٩٣

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال هذا خلقَ الله الخلق ، فمن خلقَ الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقلل أمنتُ بالله » (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل ، أو تكلم به » (٢) .

وإن ذلك المؤشر الباطنى الوجدانى قد يُخطئ ، إما لتكون خبرات انفعالية خاطئة ، أو لأن استنتاجاته العقلية خاطئة أو منقوصة ، ولذلك فإن الإنسان لا يُؤاخذ على اجتهاده إذا أخطأ ، وإنما يُزجر عليه .

قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٣) .

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه » (٤) .

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (٥) .

(ح) إن القلب مركز الذات الانسانية :

إن القلب هو مكان الخبرات الانفعالية ، وهو المؤشر الباطنى الوجدانى للإنسان ، الذى يجعله يحس بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، وإن لفظ « النفس » فى القرآن الكريم يعنى الذات الإنسانية (٦) كما سبق .

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢١٢ ، ج ١ ص ١١٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٢ ، ج ١ ص ١١٦

(٣) الأحزاب : ٥

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسى ، ج ١ ص ٦٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب

أو أخطأ ، ج ٨ ص ١٥٧

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وإن الكثير مما أسند إلى « النفس » تم إسناده إلى « القلب » كالإيمان ،
والكسب ، والخوف ... إلخ ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا
وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ... ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِقَةُ * قُلُوبٌ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (٦) .

وإن بين الذات الإنسانية والقلب عموماً وخصوصاً ، يجعلنا نقول : إن القلب
هو مرتكز الذات الإنسانية ، كما أنه هو مرتكز الذات من الناحية العضوية (٧) .
عن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بَيْنَ
والحرام بَيْنَ ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات
استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى ، يُوشك أن

(٣) غافر : ١٧

(٢) الحجرات : ١٤

(١) الشمس : ٧ - ١٠

(٦) النازعات : ٦ - ٨

(٥) طه : ٦٧

(٤) البقرة : ٢٢٥

(٧) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وقاوعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (١) .

● أقسام القلوب :

لقد سبق وأن قلتُ بأن الإنسان يتمتع بالخبرات الانفعالية لدوافعه الفطرية والمكتسبة ، وبالذات الدوافع النفسية التى تعمل على بناء الشخصية .

وإن الخبرات الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكراهة ... قابلة للتغيير ، والتنظيم ، والتوجيه كما سبق ، وإن القلب هو مركز الذات ومؤشرها .

ولذلك فإن القلوب تنقسم إلى أقسام كثيرة بين الإيجابية والسلبية ، لأن التفاعل والتناغم الوجدانى الباطنى ذو مسافة طويلة (٢) بين السليم جداً والمرضى جداً فى اصطلاح القرآن الكريم ، ومن هنا جاء تقسيمه للقلوب بشكل عام إلى قسمين وهما :

(أ) القلب السليم :

وهو الذى نجح فى إيجاد التعادلة والاتزان بين مقومات الذات المختلفة ، فدوافعه تم الاستجابة لها بطريقة سليمة ، مما كون لديه خبرات انفعالية إيجابية ، يجد فيها الاطمئنان والسعادة والرضا إلخ .

قال تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، ج ١ ص ١٩

(٢) عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٤) الصافات : ٨٣ - ٨٤

(٣) سورة ق : ٣٢ - ٣٣

(٥) الشعراء : ٨٨ - ٨٩

ولذلك فهو يحافظ على هذه التعادلية ، ولو كان ذلك عن طريق تحمل بعض الآلام والمشاق ، لأن تحملها أسهل وأيسر من خرق التعادلية في خبراته الانفعالية ككل ، والتي يأتى فى قمتها حبه لله تعالى ورسوله (١) .

قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَاتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣) .

وبما أن الإنسان خلق ضعيفاً فقد يكون منه الاجتهاد الخاطيء ، والله مطلع على أسراره ، فمنه الاجتهاد ، ومن الله تعالى الثواب والهداية والتوفيق والسداد الذى يصل به إلى أعلى درجات السمو جزاء له (٤) .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَكَتَمَطْنَا بِهِ قُلُوبُكُم ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (٧) .

(١) د . عثمان نجاشى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٤

(٢) المجادلة : ٢٢ (٣) الحج : ٣٢

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٨ ص ٥٥٨٨ - ٥٥٨٩

(٥) التغابن : ١١ (٦) الأنعام : ١٠ - ١١ (٧) الكهف : ١٤

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) .

فإن الكثير من خصائص الإنسان ودوافعه وانفعالاته لا تعود إليه عن اختيار ذاتي ، ولكنها تعود إلى خصائص تكوينه ، والبيئة التي نشأ فيها ، لحكمة عالية في عمارة الأرض .

وبما أن بعض الدوافع النفسية الفطرية لها تأثيرها وارتباطها بما هو عضوى مباشرة ، فالاستجابة لها تكاد تكون إلزامية ، فهي للإلزام أقرب منه للاختيار كحب التملك والخلود ...

ولكن دافع التدين - هو دافع نفسى فطرى - لا يرتبط بما هو عضوى مباشرة ولكنه أقرب إلى الارتباط الروحى ، وبالتالي فقضية الإيمان والكفر أقرب للاختيار منه للإلزام .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٣) .

وإن الاستجابة لدافع التدين فيه إعلاء واستثمار لتلك الخصائص والدوافع والانفعالات ، التى يتصف بها الإنسان بطريقة أفضل ، لما يوفره من التصورات الغائية العليا ، والمنهج الذى به يمكن صيانة نهجه فى مسيرته نحو هذه التصورات عن تعادلية واتزان فى الشخصية ، وما يكونه هذا النهج من خبرات

(٣) الكهف : ٢٩

(٢) الشمس : ٧ - ١٠

(١) الفتح : ١٨

انفعالية إيجابية ، تجعل قضية الإيمان دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار ، وهو ما عبر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يُحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار » (٣) .

(ب) القلب المريض :

وهو الذى لديه أعمال أو خبرات انفعالية سلبية ، تخرق التعادلية والاتزان فى الشخصية ، وقد يكون هذا المرض بليغاً يخرج من الملة كالكفر والنفاق .

قال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبِعْنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٥) .

(١) الحجرات : ٧

(٢) الحجرات : ١٤

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، ج ١ ص ٩ - ١٠

(٤) البقرة : ٨ - ١٠

(٥) آل عمران : ١٦٧

وقد يكون المرض أقل من ذلك كعمل أو حب بعض المعاصي والآثام ، التي لا تُخرج من الملة كالتكبر ، والغل ، والحقد ، والحسد ... وإن كانت هذه الصفات من صفات أو مما دفع الكافرين والمنافقين لكفرهم ، فالبعد الوجداني الباطني للإنسان أعمق من القدرات العقلية (١) .

قال تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٤) .

وإذا كان الله تعالى خلق الإنسان لعبادته ، فمنه الجزاء كُلُّ بما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فللمؤمن الثواب ، ومنه الهداية والتوفيق والسداد ، وللكافر العقاب ، ومنه الإضلال والختم على القلوب ، لعلمه تعالى الأزلي بما عليه الكافر من خبرات انفعالية موجهة لسلوكه ، وتفكيره ، وما سيكون عليه مصيره (٥) ، كما أن الإنسان يعمل على دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروعاته ، فإذا ثبت أو غلب على ظنه عدم جدواها عمل على عدم تنفيذها ، فهل يعني ذلك أنه هو الذي حكم عليها بذلك ؟ أم أنها هي كذلك ؟ فما رأيك بعلم الله تعالى بجانب علم الإنسان ؟

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ

(١) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٢) النحل : ٢٢ (٣) غافر : ٣٥ (٤) البقرة : ٢٠٤

(٥) محمد القاسمي : الاسلام كما فهمت ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٥

د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٠٠ - ٢٠١

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نُنْظِرُ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَأَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُكْذِبُ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال : دخلتُ على النبي ﷺ ، وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا يا رسول الله ، قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر ، قال : « كان الله ولم يكن شئ، غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر (٤) كل شئ ، وخلق السماوات والأرض » (٥) .

* * *

● وحدة القلب :

إن القلب واحد ، وهو مرتكز الذات التى لها خبراتها الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكراه والفرح والحزن ...

ولذلك فإن حب الإنسان لشيء ما حباً داخلياً ، وإظهار كرهه له ظاهرياً يجعله كأن له قلبين ، بحيث يحب أحدهما الإيمان ، ويحب الآخر الكفر ، وهذا ما يخالف الواقع ، لأن الخبرة الانفعالية واحدة فى قلب واحد ، ولا يمكن أن يكون له خبرتان متناقضتان لشيء واحد فى وقت واحد ، إلا إذا كان له قلبان (٦) .

(١) يونس : ٧٤ (٢) التوبة : ١٢٧ (٣) المطففين : ١٢ - ١٤

(٤) الذكر : اللوح المحفوظ

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... ﴾ (الروم : ٢٧) ، ج ٤ ص ٧٣

(٦) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢١٢ - ٢١٣

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن إظهار الإنسان لأمر ما ، على أنه خيرة إنفعالية له - كالحب والكراهة - بينما يبطن ما هو خلاف ذلك بعد تناقضاً بين الظاهر والباطن للإنسان ، وقد يصل مثل هذا إلى موضوع الإيمان والكفر ، وهو ما يُعرف بالنفاق في الدين (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٣) .

وقد يكون التناقض بين الظاهر والباطن فيما هو أخف من النفاق في الدين كالصدق والكذب ، وكالظهار من الزوجة ادعاءً بأنها مثل محرم له كما في آية الأحزاب السابقة .

قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) الأحزاب : ٤

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٨٢٣ - ٢٨٢٤

(٤) النساء : ٤٨

(٣) آل عمران : ١٦٧